الحياة الأدبية في الجزائر الحفصية

أ. علال بن عمر
جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي

مقدمة:

إن موضوع " الحياة الأدبية في الجزائر الحفصية" قد أثار حفيضتنا لدراسته وتسليط الضوء على مكنوناته، وذلك لأسباب عديدة أهمها؛ أولا ما يتعلق بطبيعة الإطار المكاني للموضوع، فالجزائر الحفصية يُقصد بها الإقليم الغربي للدولة الحفصية أو ما يعرف حاليا بمدن الشرق الجزائري، والتي كانت في تلك الفترة خاضعة لسلطة الحفصيين بتونس ، لذلك معظم الدراسات حول تاريخ الحفصيين وآثارهم الحضارية تناولت العاصمة تونس وضواحيها، بينما بقي الإقليم الغربي لها على هامش تلك الدراسات، أما الأمر الثاني فيتعلق بقلة المصادر والمراجع التي تناولت المجال الثقافي وخاصة الأدبي منه، وما وجد من ذلك ففي كتب التراجم والطبقات أو كتب الرحلات.

أما السبب الرئيسي الذي زرع فينا حب الخوض في مغمار هذا البحث هو مقولة ابن خلدون التي اتسمت بالقسوة تجاه الأدب المغربي والتحامل الكبير على أعمدته في هذه الفترة وذلك عندما أورد قوله:"الأدب المغربي ضعيف نازل الدرجة من أدب الأقطار الإسلامية الأخرى ، ولم ينبغ في الشعر والكتابة من المغاربة إلا قليل كابن رشيق وابن شرف وابن الرقيق ..."[1].

لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة نفض الغبار على تراثنا الأدبي، والإطلالة على أهم ما خلفه سلفنا من إنتاج علمي، وما قدمه أدباؤنا ولغويونا من آثار أدبية أثرت خزانة الأدب في المغرب العربي بل في العالم الإسلامي بأسره.

وكما هو معلوم أن الأحداث السياسية التي شهدها العهد الحفصي كانت جد مضطربة نتيجة كثرة الفتن الداخلية وصراع الأمراء على السلطة، إضافة إلى ظهور حركة الاسترداد المسيحي التي بدأت آثارها تلمس الشواطىء الجنوبية الغربية للبحر المتوسط[2]، وهنا تطرح الإشكالية نفسها؛ هل كان لتلك الاضطرابات دور في تدهور الحياة الأدبية وانهيارها، وهل يمكن أن تنشأ في ظل ذلك كله حركة علمية أو أدبية، وهل ظهر في تلك الفترة أدباء وشعراء ولغويون قادوا الحياة الأدبية بالمنطقة.

سنحاول الإجابة على تلك الإشكاليات بالتعرض إلى ثلاث عناصر أساسية في الموضوع:

1- تبعية الشرق الجزائري للدولة الحفصية (7هـ-10هـ/13م-16م).
2- الإرث الأدبي للمنطقة قبل العهد الحفصي .
3- عوامل نمو الحياة الأدبية بالمنطقة .

4- مظاهر الحياة الأدبية للمنطقة (مع عرض موجز وترجمة للعديد من الأدباء والشعراء المشهورين).

1-تبعية الشرق الجزائري للدولة الحفصية (7هـ-10هـ/13م-16م).

لقد كان عصر الدولة الحفصية وريث عهد الموحدين، ورث عنه تدهورا سياسيا مريعا، كثُر فيه الصراع الذي وقع بين الدويْلات التي قامت بعد سقوط دولة الموحدين، وعلاوةً على ذلك وعلى المستوى الخارجي تكالُبِ الصليبيين على العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً. إن الدولة الحفصية عاصرت دولة بني زيان وانفصلت مثلها عن امبراطورية الموحدين لكنها اعتبرت -في نظر العديد من المؤرخين- الوريث الشرعي لها، وهي تنتسب إلى أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي أحد الموالين للموحدين ومن أصحاب وأتباع مؤسس دولتهم المهدي بن تومرت وقد أسس الدولة الحفصية أحد أحفاده وهو أبو زكريا يحي (624 هـ - 647هـ /1226م-1249م)؛ وقد كان واليا للموحدين بافريقية، ثم خلع طاعة الموحدين ونقض بيعة الخليفة أبي العلا إدريس المأمون الموحدي(626هـ- 630هـ/1228م- 1232م)، وأقام الخطبة باسم الإمام المهدي و الخلفاء الراشدين فقط، وتمّت له المبايعة من طرف أهل القيروان يوم 18 رجب 625هـ /24جوان 1228م، وعند وصوله إلى تونس جدّد بها البيعة ، ثم اتخذها عاصمة له[3]، لينهض السلطان الحفصي بعدها لإقرار سلطته في البلاد التابعة لنفوذه، فأوّل منطقة سار إليها مدينة قسنطينة، وعند وصوله فرض عليها الحصار أياما عديدة، حتى دخلها دون عناء واستولى عليها صلحا[4]، ثم أخرج منها والي الموحدين ابن أبي عبد الله بن يعقوب المنصور، وعندها بايعه أهلها وأعيانها ووجهاؤها على رضًى منهم وذلك يوم الخميس 26شعبان 626هـ/ 1229م ، وكان على رأسهم الشيخ أبو علنّاس الصنهاجي (توفي آخر شعبان 626هـ /1229م) [5]، ثم انتقل بعدها لإخضاع بجاية التي سرعان ما أذعنت له، وقبض أبو زكريا على واليها وبعث به مع والي قسنطينة المخلوع إلى تونس[6]،وبذلك اتسعت حدود ولايته وشملت سائر بلاد افريقية ، بما فيها ولاية بونة-عنابة- وولاية قسنطينة وولاية بجاية. ونهض الأمير أبو زكريا سنة 636هـ/1239م في اتجاه المغرب الأوسط ، فسار إلى بجاية ومنها إلى الجزائر فاستولى عليها ، ثم قصد ناحية شلف فأطاعته مغراوة ثم انتهى إلى بلاد بني توجين فحاربهم وهزم رئيسهم عبد القوي بن العباس وأسره، وعاد إلى تونس وفي سنة 639هـ/1243م نهض إلى المغرب الأوسط ثانية بغرض إخضاع تلمسان فحاصرها إلى أن أجبر واليها يغمراسن بن زيان إلى الاستسلام وطلب الصلح وقبول ولائه لسلطان الحفصيين وكان ذلك في صفر من سنة 640هـ/1244م فعظم بذلك نفوذ الحفصيين واتسعت إمارتهم إلى نهر ملوية غربا،وأصبحت الدولة الحفصية تتطلع إلى المحافظة على إرث الموحدين وخلافتها لهم[7].

وقد عين الأمير أبو زكرياء ولاّة على كامل المنطقة الخاضعة له في الإقليم الغربي لدولته، ونظرا لأهميتها عنده فقد اختار ولاتها من عائلته؛ فعين ابن عمه أبا علي عمر بن أبي موسى واليا على بونة-

عنابة–، كما عين على بجاية ابنه أبا يحي زكرياء وكان لا يزال في سن الراهقة ، وبعد ذلك بسنتين أسند إليه ولاية العهد ، ولم يكن ذلك على عهد السلطان أبي زكريا فقط وإنما اتبع معظم سلاطين الدولة سياسته، فقد عهد السلطان الحفصي أبو يحي أبو بكر (710هـ–747هـ/1310م–1346م) لأبنائه على رأس مدن الشرق الجزائري؛ فعين الفضل على بونة–عنابة– وأبا عبد الله محمد على قسنطينة وأبا زكرياء على بجاية. فكانت المنطقة بذلك دار سلطنة لا دار مملكة ، ذلك أن معظم أمرائها كانوا من البيت الحاكم ومنهم من تقلّد منصب سلطان الدولة الحفصية انطلاقا من قسنطينة أو بجاية[8]. وقد لعب السلاطين الحفصيون وأمراؤهم في المنطقة دورا بارزا ومهما في تطوير الحركة العلمية وتنشيطها، وسنشير إلى ذلك بالتفصيل لاحقا ونفرده بالدراسة.

2– الإرث الأدبي للمنطقة قبل العهد الحفصي:

لقد عرف الإقليم الغربي للدولة الحفصية حركية علمية وأدبية منذ العهد الحمادي(387هـ–537هـ/997م–1142م)، حيث اشتهر العديد من فطاحلة الشعر والأدب خاصة ببجاية والقلعة وطبنة والزاب وبونة وقسنطينة وغيرها من أمصار بلاد المغرب الأوسط، وقد ازدانت المنطقة على ذلك العهد بازدهار الآداب والعلوم خاصة الدينية منها، وشيوع المناظرات والأبحاث الفقهية. وقد لعبت التيارات الفكرية والمذهبية دورا في هذا الزخم العلمي والأدبي، إضافة إلى بداية ظهور أفكار التصوف منذ القرن 5هـ/11م ، كل ذلك شكّل فسيفساء ثقافية وأدبية آتت أكْلها في تنشيط الحركة العلمية والأدبية في كامل بلاد المغرب الأوسط. وقد كانت بجاية وقت ذاك عاصمة للحماديين أوْلاها أمراؤها أهمية بالغة، فكانت محطة من محطات التزود بالعلم والمعرفة، وشمعة تضيء على من حولها من البلدان،ووصل نورها حتى أوربا التي كانت تعاني من العتمة طيلة القرون الوسطى.

ولما برز الحماديون على مسرح التاريخ وجدوا أن المغرب قد بلغ من الرقي الأدبي منزلة عظيمة بسبب المخلفات الحضارية التي أوجدها من سبقوهم فنسجوا على منوالهم،وساعدهم على ذلك أن معظم الدول التي سبقت عهدهم اهتمت أيما اهتمام بهذا المجال، فكان مؤسسو تلك الدول أنفسهم من الأدباء كالدولة الأغلبية(184هـ–296هـ/800م–908م) التي أشرف على تأسيسها عالم وأديب ومثقف بارع وهو إبراهيم بن الأغلب(140هـ–196هـ/757م–811)،وقد شهدت الدولة الأغلبية عهد النهضة الأدبية بافريقية والجزائر، وممن اشتهر خلال عهدها من الأدباء:عبد الملك بن قطن (ت255هـ/868م) وأحمد الصواف(ت291هـ/903م) الذي اشتهر بالنثر، وأبو العباس محمد بن أ حمد البريدي (ت276هـ/889م) وهو أبرز شخصية أدبية في النثر الفني بافريقية لهذا العصر.

أما الدولة الرستمية (160هـ–296/ 777–909م)فقد اشتهر أئمتها بالعلم والفقه والأدب، وقد مشت شوطا كبيرا في ميدان الأدب العربي، وفتحت للغة الإسلام الأبواب على مصرعيها، فنبع بها الكتاب

والشعراء والعلماء؛ ومنهم الإمام أفلح بن عبد الوهاب(188هـ-238هـ/803م-852م) وهو من أكابر الأئمة الرستميين وأشهرهم، و من قصائده العصماء تلكم القصيدة في فضل العلم التي يقول في مطلعها:

العلم أبقى لأهل العلم آثـارا و ليلهم بشموس العلم قد نـارا

يحي به ذكرهم طول الزمان و قد يريك أشخاصهم روحا و أبكارا[9]

كما سطع نجم الأديب الشاعر بكر بن حماد التيهرتي(ت296هـ/908م) في هذا العهد ونبغ في الشعر أيما نبوغ، ونظم قصائد جيدة في أغراض مختلفة؛كالوصف والمديح والهجاء والرثاء والاعتذار و الزهد و الوعظ.[10] ومن شعره:

قف بالقبور فناد الهامدين بها من أعظم بليت فيها و أجساد

قوم تقطعت الأسباب بينهم مـ ن الوصال و صاروا تحت أطواد

والله و الله لو ردّوا و لو نطقوا إذا لقالوا التّقى من أفضل الزاد[11]

وما إن دخل العصر الحمادي حتى أضحت مدنه قلاع علم ودور أدب وموطن نشاط عقلي ومصدر رقي فكري صارت تضاهي قرطبة والقيروان، فأسس الحماديون المدارس والجوامع التي تدرّس العلوم والآداب، وكان ملوكهم يغْدقون على العلماء والشعراء، وقد راج سوق الشعر على عهدهم وقيل في شأنهم قصائد بليغة، وكان أشهر أدبائهم وشعرائهم من البيت الحاكم؛ أمثال المنصور بن الناصر بن علناس(481-498هـ/1088م-1104م) ويحي بن العزيز بن باديس(498هـ-515هـ/1104-1121مـ) الذي كان فصيح اللسان والقلم مليح العبارة بديع الإشارة، كما كان العزيز كثير المجالسة للأدباء والشعراء وتعجبه مجالس البحث والمناظرة[12].

أما عن رواد هذا العهد من فطاحل الأدباء فنذكر في مقدمتهم؛ يوسف بن محمد بن يوسف أبا الفضل ابن النحوي (ت513هـ/1119م) الذي ضرب به المثل في تقواه وزهد وورعه وعلمه. أجاد ابن النحوي قرض الشعر كما أجاد علوم الدين والفقه والكلام وغيرها، وقد برع في شعر التوسلات وهو نوع من أنواع الأدب الصوفي الذي انتشر ببلاد المغرب، وقد كتب في ذلك قصيدة جيمية عرفت بالمنفرجة، وهذه القصيدة جيميّة وضّح فيها ابن النحوي انقشاع الأزمة بعد شدّتها ودور الصوفية في فرْيِها، مطلعها -من البحر الخبب-

إشتدّي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج[13]

وظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو السّرج[14]

وسحاب الخير له مطر فإذا جاء الإبان تجي [15]

وقد نالت المنفرجة اهتمام العامة والخاصة، وأصبحت أثرا يستعينون به كلما حلّت بهم النوائب، وقد قام الفقيه أبو محمد عبد الله الحضرمي (ت 636 هـ - 1239م) لما أدخله الموحدون السجن في قسنطينة بتخميس[16] قصيدة المنفرجة مما يبين استمرارها وتأثيرها على النفوس في دفع الكرب، وتخليص الناس من

شدائدهم[17] وقد قال عنها الغبريني:"مازلت هذه القصيدة – أي الجيمية – معلومة الإفادة ظاهرة الزيادة"[18] بل إن الاهتمام بها تواصل في المغرب الأوسط إلى غاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي .

ومن الأدباء نذكر أيضا يحي بن معطي الزواوي (ت628هـ/1230مـ) الذي كان فاضلا أديبا شاعرا وإماما مبرزا في العربية ، أخذ النحو عن الجزولي وله تآليف جليلة منها :في النحو– العقود – القوانين– حواش على أصول ابن السراج–شرح الجمل –شرح أبيات سيبويه نظما إضافة إلى –ديوان خطب–قصيدة في القراءات السبع– نظمان في العروض وفي صحاح الجوهري[19] .

ونشير في هذا العهد إلى تطور لون آخر من ألوان الأدب وهو الرسائل الإخوانية والرسائل الديوانية الإدارية التي كان يغلب عليها السجع واشتهر في هذا اللون ابن العالمي البجائي؛ الذي تفنّن في النثر من خلال رسائله الديوانية إذ كان من كتّاب الدولة الحمادية. وعموما فقد اشتهر العديد من الأدباء خلال هذا العهد نذكر منهم على سبيل الاختصار:

– عبد الكريم النهشلي(ت405هـ/1014م):كان كاتبا نقادة وشاعرا كبيرا عاش في بلاط الحماديين وأثر في البيئة الأدبية المغربية كثيرا، وقد تأثر به في النقد الأدبي ابن رشيق في عمدته. وكان أديبا كبيرا عارفا باللغة وخبيرا بأيام العرب وأشعارها، وكان مذهبه في الأدب مذهب أخلاقي .

–ابن رشيق المسيلي(ت463هـ/1070م) وكان كاتبا كبيرا وشاعرا مفوها ومؤلفا جليلا، ومن أهم آثاره التي رفعت قيمته الأدبية كتبه النقدية؛ ومنها كتاب العمدة في جزأين، وأسلوبه في غير الرسائل أسلوب سهل قوي لا يستهدف فيه السجع إلا ما جاء نادرا.

–أبو عبد الله محمد القلعي: عاش أواخر عهد بني حماد وهو جيد الشعر .

–أبو حفص عمر بن فلفول : وقد كان كاتبا في بلاط يحي بن عبد العزيز الحمادي(515هـ–547هـ/1121م–1152م).

أما على العهد الموحدي فقد اشتهر الشاعر القسنطيني شاعر المغرب الأوسط في زمانه[20] أبو علي حسن بن علي بن عمر بن الفكون القسنطيني (حيًّا سنة 602هـ / 1205م)، وقد ذكره العبدري[21](حيا سنة 688هـ / 1289 م) في كتابه الرحلة. وقد تفنَّن ابن الفكون في علوم شتَّى فكان رحَّالةً، وأديبا، وفقيها، وشاعرا ماهرا، قال عنه الغبريني: "....من العلماء الذين تُستظرف أخبارهم وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر وكأنّهما أنوار الزهر، وهو من الفضلاء النبهاء وكان مُرفَع المقدار، ومن له الحظوة والاعتبار، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، ولم يكن يحترف به لإقامة وُدٍّ أو إصلاح حال، وأصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها ومن كريم أروماتها وتواشيحه مستحسنة"[22] وقد اشتُهر هذا العالم بموالاته للبلاط الموحدي حيث مدح خلفاءهم في العديد من قصائده، حتى أجْزلوا له العطاء ونال منهم العديد من الجوائز، وذكر ابن قنفذ أنّ

ابن الفكون[23] مدح الخليفة الناصر عند زيارته إلى قسنطينة(602 هـ/1205م) بقصيدة عظيمة لم تدوَّن، كما وصف بجاية معقل الحماديين في قصيدة- من البحر البسيط- مطلعها:

دع العراق وبغداد وشامَهما فالناصرية ما إن مثلها بلدُ
بَرٌّ وبحْرٌ وموْج للعيون به مسَارِحٌ بان عنها الهمُّ والنَّكَدُ
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمُنى والعيشة الرغَدُ
والنهر كالصِّلِّ والجنَّات مشرقةٌ والنهر والبحر كالمرآة وهو يدُ
فحيثما نظرت راقت وكل نوا حي الدار للفكر للأبصار تتَّقد
إن تنظر البَرَّ فالأزهار يانعة أو تنظر البحر فالأمواج تطَّرد
يا طالبا وصفها إن كنت ذا نصف قل جنَّة الخلد فيها الأهل والولد[24]

كما ذكر لنا الرحالة العبدري أيضا القصيدة التي كتبها أثناء رحلته إلى مراكش وكان قد كتب بها إلى أبي البدر محمد بن مردنيش –أمير شرق الأندلس- وهو بقسنطينة – من البحر الوافر- وهي على النحو التالي:

ألا قل للسري بن السريِّ أبي البدر الجواد الأزْيحيّ[25]
أيا معنى السيادة والمعالي ويا بحر النَّدى بدر النديِّ[26]

4-عوامل تطور الحياة الأدبية في المنطقة خلال العهد الحفصي:

لقد ورث الحفصيون التراث الحضاري الذي خلفته دولة الموحدين مما جعلهم يسبقون بني زيان وبني مرين في المضي قدما نحو التطور والتقدم، فكانت دولتهم بتونس تمثل أرقى ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في القرن 7هـ13م وما بعده.وقد وصف ابن خلدون الدولة في عهد المستنصر (647هـ-675هـ/1249م-1276) بقوله:" وفي أيام هذا السلطان عظمت حضارة تونس وكثر ترف سكانها وتأنق الناس في الملابس والمراكب والمباني والماعون والأبنية فاستجدوها وتناغوا في اتخاذها وانتقائها إلى أن بلغت غايتها ثم رجعت من بعده أدراجها..."[27]وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن تعلّم العلوم والآداب من جملة الصنائع، وأن الصنائع إنما تكثر في الأمصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة[28]، ولما كانت تونس من أهم الحواضر الكبرى في بلاد المغرب العربي- على حد تعبيره-أينعت الحياة الثقافية بها وانتشرت في كامل ربوع الدولة الحفصية، فأصبحت المملكة قبلة العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء، وفد إليها كثير من علماء المغرب والأندلس بل وحتى بلاد المشرق، ولم تكن الجهة الغربية لها-مدن الشرق الجزائري- بمنأى عن ذلك كله. -ونحن هنا إذ نورد كلام ابن خلدون فنحن نرد عليه بما أورده في مقدمته ونفنّد مقولته الأولى التي قلّل فيها من شأن الأدب المغربي

-

إن العامل الأساسي الذي أدى إلى ظهور حركة أدبية رائدة خلال هذه الفترة هو ما أفضنا الحديث عنه في العنصر السابق وهو ما يتعلق بالإرث الأدبي والتراكمات العلمية والفكرية التي سبقت هذا العهد، كما أن هناك عوامل أخرى مهمة لعبت دورها أيضا في تنشيط الحياة الأدبية وتفعيلها أهمها :

1- عناية الحكّام والأمراء بالعلم والعلماء:

لقد كان هذا العهد بالنسبة للمنطقة عهدا مشرقا، حيث ازدهرت فيه الحياة الثقافية بما توفَّر لها من أسباب النشاط، والمتمثّلة خاصة في عناية الملوك والأمراء بالعلماء والأدباء والفقهاء، وإعطائهم المكانة الرفيعة، وقد عمل الملوك الحفصيين على جلب العلماء والأدباء إلى بلاطهم بالحاضرة تونس التي كانت الوجهة الأولى لعلماء المغرب الأوسط، لكونها دار المملكة ومقر السلطنة، وما من فنٍّ من فنون العلم إلاَّ وُجد بها ولا موردا من موارد المعارف إلاَّ رأيت بها حوله واردًا وحائما، وبها من أهل الرواية عدد وافر يجْلُو الفخار بهم، وقال فيها القلقشندي : " لأهلها لُطْف أخلاق وكَرَمُ شمائل بالنسبة لأهل العُدْوة وسائر بلاد المغرب، وناهيك من بلاد شعرٍ ملكها أبو العباس، واسترسل في قوله شعرا–من البحر الطويل –:

مواطننا في دهرهن عجائب وأزماننا لم تعدّهن الغرائب

مواطن لم تحك التواريخ مثلها ولا حدَّثت عنها الليالي الذواهب[29].

وإذا كان هذا ديْدَنُ سلطان الدولة، فما ظنُّك بغيره من الأمراء والوُلاّة في الأقاليم التابعة للدولة، فبذلك وجد العلماء والأدباء طريقهم للسمو بالعلم والأدب في ظل الدولة الحفصية، فكانوا المثل الأعلى في النبوغ العلمي والإنتاج الأدبي[30]،وإسناد مهام الخطط الدينية والسياسية إليهم، والوقوف عند آرائهم السديدة التي يشيرون بها عندما يستشارون، وهذا ما حمل علماء المغرب الأوسط على التقرّب لبلاطات الأمراء الحفصيين، والانقطاع لخدمتهم إجابةً للرغبة العلمية الصادقة ووفاءً بالواجب المفروض ، فبثُّوا العلم ونشروا الأدب، وقدَّموا التآليف الجليلة لخزائن أمراء الدولة، ونثروا على الأسماع محامدهم وأشادوا بمفاخرهم[31].

كما اهتمَّ السلاطين والأمراء الحفصيّون بالمؤسسات التعليمية، وساهموا في بناء المدارس والجوامع والكتاتيب، وشجَّعوا التأليف وجمعوا أصناف الكتب، وبرزت رعايتهم للعلم والأدب، وقد كان من بينهم من ينتمي إلى نخبة العلماء والفقهاء، كالسلطان أبي زكريا الأول بن عبد الواحد بن أبي حفص (625هـ-647هـ/1227م- 1249م) الذي اشتهر بالأدب والشعر وله شعر مدوَّن، وكان يجالس طلبة العلم ويشاركهم أحسن مشاركة نازعا عن نفسه ثوب السلطة متزيّنا بحلَّة العلم، وكان لحرْصه على التعليم يقوم بزيارات خاصة للكتاتيب التي يدرَّس فيها الأولاد[32].

أما السلطان المستنصر (647هـ-675هـ/1249م-1276م) فقد رتَّب لمجالسته أعلاما من الفقهاء والأدباء، كالمحدِّث الحافظ أبي بكر بن سيد الناس[33] (ت669هـ/1270م)، والأستاذ ابن عصفور[34] (ت669هـ/1270م)، وابن الأبَّار[35] (ت658هـ/1259م)، وغيرهم من الأعلام[36].

كما كان الأمير أبو حفص عمر (683هـ-694هـ/1284م-1294م) يعظِّم الفقهاء والصلحاء ويبرُّهم، بل ويبادر إلى قضاء حوائجهم، وعلى عهده ملك الأمير أبو زكريا ابن الأمير أبي إسحاق قسنطينة وبجاية بعد عودته من تلمسان، وأحسن فيهما السيرة بعقله، وكان ميَّالا لمجالس العلم، فقرَّب العلماء وأنزلهم منزلتهم، وكان يجالسهم بمجلسه الموقَّر بقسنطينة وكذلك ببجاية، وهو الذي وسّع جامع القصبة بقسنطينة وأصلحه وجدَّده، وكان مشغولا ببناء المدارس واقتناء الكتب وجمعها، وضمِّ أنواع العلوم لها[37].

وقد كان السلطان أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله -القسنطيني المولد-(772هـ-796هـ/ 1370م-1393م)-مثل أسلافه- يحضُر حلقات العلم بالمساجد، وكان ملازما لحلقة قراءة القرآن الأسبوعية بمقصورة جامع الزيتونة، وكان معظَمُ كُتَّابه من الفقهاء والأدباء وفحول الشعراء، وكان أغلبهم قسنطينيون وبجائيون، إذ كان السلطان يقدِّمهم عن غيرهم ولهم عنده مكانة خاصة، وكان من خدّامه المقربين الذين انتقلوا معه إلى الحضرة تونس الشيخ الوزير أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ أبي الحسن ابن أبي هلال الهنتاتي(عاش في القرن 8هـ/14م)، وشقيقه الشيخ الحاج أبو عبد الله محمد(عاش في القرن 8هـ/14م)، وكلاهما قسنطينيان بالولادة، وقد كان الشيخ إبراهيم بن أبي محمد عبد الكريم بن كمّاد(عاش في القرن 8هـ/14م)-وهو من وجوه وأعيان مدينة قسنطينة- مقرّبا إلى بلاطه، وقد ولاّه السلطان خطّة الكتابة بحضرته[38]، وكان السلطان كثيرا ما يختار كتّابه من أهل قسنطينة وبجاية؛ ففي البيعة الأولى الواقعة بقسنطينة في شعبان من سنة 756هـ/ 1355م كان الكاتب أبو علي حسن بن أبي الفضل القسنطيني (ت 756هـ/1355 م) أوَّل من كتب له، وكان له خطّ حسن شهد له بذلك كل من كتب عنده،وفي مقدمتهم الأمير أبو عنان المريني(749هـ-759هـ/1348م-1358م) وغيره[39].

2- الرحلة في طلب العلم:

كانت الروابط الثقافية بين فقهاء وعلماء قسنطينة وأهل المغرب والمشرق والأندلس متينة، قائمة على الاتصال المتبادل، إما عن طريق النشاط الدبلوماسي، أو عن طريق الرسائل الإخوانية، أو رحلات الحج أو الرحلات العلمية، فتمَّ بذلك التلاقح الفكري رغم التجزئة السياسية التي كانت قائمة بين أقطار العالم الإسلامي آنذاك.

وقد كانت الرحلة في طلب العلم ميزة ذلك العصر، ويقول في ذلك ابن خلدون(ت808هـ/1406م): " فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال..."[40] وبقدر ما كانت الرحلة فحْصًا للأغوار والأنجاد، ووصفا للأمصار والبلدان، وتقصِّيًا لأحوالها الجغرافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ فإنها كانت أيضا محطة من محطات الاستزادة بالعلم والمعرفة، والأخذ عن الشيوخ والعلماء الكبار والتتلمذ على أيديهم،وقد أدرك علماء قسنطينة ما للرحلة من فوائد،

فشدوا عصا الترحال عملا بما جاء في الحديث النبوي الذي رواه أبو هريرة (ض) في قوله صلى الله عليه وسلم " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة "[41].

فكانت الرحلة إذن من التقاليد المعمول بها والمحمودة عند أهل المغرب الأوسط، حيث كانوا يسافرون في وقت كان فيه التنقُّل والترحال أصعب ما يكون في عصور بعده، لكن السعي من أجل العلم والرغبة في تحصيله ذلَّل كل الصعوبات وكسر كل الحواجز، فتوجَّه علماء المدينة للترحال إلى كل الحواضر العلمية مشرقا ومغربا. وقد تفاعل علماء المغرب الأوسط مع علماء وطلاَّب مختلف المدن والحواضر الثقافية التي زاروها، وأثَّروا بدورهم في الطلاَّب والشيوخ الذين التقوا بهم في حواضر المشرق والمغرب والأندلس، وذلك بما قدَّموه من عطاء فكري وبما أضافوه من شروح وتفاسير، صاغوها أفكارا في المختصرات والمدونات والتعليقات المختلفة[42].

3- التفاعل الثقافي بين المغرب والأندلس والمشرق والحضور الأندلسي في الأدب المغربي:

إن الاحتكاك الأدبي الذي وقع بين مثقفين وبين أعلام الثقافة المهاجرين من الأندلس والمشرق، وخصوصا مهاجري الأندلس الكثيرين الذين استوطنوا تلمسان وبجاية وقسنطينة والجزائر، فكان المغرب الأوسط قبلة العلماء ووجهة الرحالة العرب، حيث زاره العديد من علماء العالم الإسلامي ورحّالته الذين وصفوا أحواله، وترجموا لعلمائه الذين التقوا بهم، ومنهم الفقيه المحدث الحافظ المتقن اللغوي التاريخي ابن حمديس الصقلي الذي ولد بجزيرة صقلية سنة 447هـ/1055م ثم سافر إلى الأندلس سنة 471هـ/1078مـ ليستقر بعد ذلك في بجاية وأصبح شاعر المنصور الحمادي، وله ديوان شعر يشتمل على قصائد في مختلف المواضيع والإغراض الشعرية سواء في المدح أو الرثاء، ويعرف بشاعر الطبيعة الكبير، وقد عاش في بجاية أمدا ونشر بها أدبه. ومن المشرق وفد على بجاية علماء اجلاء واستوطنوها وأشهرهم الفقيه الشيخ تقي اليد الموصلي(القرن7هـ13م) كان ذلك زمن الشيخ أبي الحسن الحرالي[43].

ومن الذين زاروا المغرب الأوسط أيضا عز الدولة بن صمادح الذي كان من أمراء الأندلس وملوك الطوائف بها ولما خلعه يوسف بن تاشفين عن إمارته التحق ببجاية حوالي سنة 488هـ/1095م وكان أديبا وشاعرا فحلا[44] .كما زارها أيضا الفقيه أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم الاشبيلي (ت581هـ/1185م) المحدث الحافظ العابد الزاهد نزل بجاية وقت فتنة الأندلس فبث بها علمه وصنف بها التصانيف، وولي أيضا الخطبة والصلاة بها ، وكانت له فقط مشاركة في الأدب والشعر لاهتمامه الكبير بالفقه والحديث ومن شعره :

إن في الموت والمعاد لشغلا وأذكارا لذي البنهى وبلاغا

فاغتنم خصلتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخي والفراغا[45]

وممن زارها أيضا الفقيه الأديب الشاعر البليغ أبو بكر بن سيد الناس الاشبيلي(ت659هـ/1260م)، الذي رحل من الأندلس إلى المغرب الأوسط واستقر ببجاية، وولي صلاة الفريضة والجمعة بجامعها العظم، وروى بها وأسمع حتى تتلمذ على يديه العديد من طلبة العلم، وألف بها تآليف عديدة[46]، ولما سمع به المستنصر سلطان الحفصيين بتونس دعاه إلى بلاطه وقربه وجعله من خواصه وعاش بها ما قدره الله له حتى وافته منيته في السنة المذكورة، وكان ابن سيد الناس يكتب جيدا وينظم نظما حسنا ومن قصائده قصيدة على قافية العين في قصد الحج يقول في مقدمتها:

أيا سائرا نحو الحجاز وقصده إلى الكعبة البيت الحرام بلاغ

ومنه إلى قبر النبي محمد يكون له بالروضتين مراغ[47]

وحضيت المنطقة أيضا بوجود القاضي الفقيه الأديب ابن الغماز الأنصاري(ت693هـ/1294م) وهو من بلنسية، رحل إلى بجاية واستوطنها ونشر بها أدبه الصوفي وشعره الزهدي[48].

ومن الكتاب الأدباء الأندلسيين الذين كان لهم الأثر البالغ في الأدب المغربي الكاتبان الشهيران اللذان عاشا معظم حياتهما ببلاد المغرب؛ الأول ابن الأبار (ت658هـ/1259م) وأصله من بلنسيّة[49] وهو النحوي الأديب المجيد اللغوي الكاتب البارع كما وصفه الغبريني في درايته، استوطن بجاية واستقر فيها ودرس بها، وأقرا وروى وأسمع وصنف ، وله تآليف في حسنة، ونزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة[50].

وقد كان مقربا أيضا من بلاط المستنصر الذي مدحه في قصائد عديدة وأول إنشاده لما مثل أمامه قوله:

بشراي باشرت الهدى والنور في قصدي المستنصر المنصور

وإذا أمير المؤمنين لقيته لم ألق إلا نصرة وسرورا

وذكر الغبريني انه لو لم يكن لابن الأبار إلا القصيدة التي رفعها لمقام الأمير الحفصي أبي زكريا يستنجده ويستصرخه لنصرة الأندلس لكان فيها كفاية ومطلعها :

أدرك بخيلك أرض الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

ولو لم يكن له من التآليف غير كتاب "اللجين في مراثي الحسين" لكفاه في ارتفاع درجته فكيف وله تصانيف كثيرة وتآليف جمة[51].وقد أورد الغبريني في درايته الكثير من الوافدين من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط وخاصة بجاية، وأشار إلى ذلك التناغم بين الثقافتين المغربية والأندلسية، وأبرز مجالات التأثر والتأثير الثقافي بينهما.

أما الكاتب الثاني فهو أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي الذي قال عنه ابن قنفذ:"رئيس الأدباء وكبير العلماء وعلامة عصره"[52]، عمل في بلاط أبي زكريا الأول(626هـ-647هـ/1228م-1249م) والمستنصر (647هـ/675هـ/1249م-1276م)[53] .

ولم يقتصر تأثير الأندلسيين على الأسلوب الأدبي فقط بل تعداه إلى التأثير في الرسم والخط،وقد كان النسخ يتم في أغلب الأحيان بالخط الأندلسي، فظهر في المنطقة الخطّاطون والنّساخون، وارتبط خطّهم بالخطّ الأندلسي الذي طغى على الخطوط المغربية الأخرى، حتى قال ابن خلدون عن ذلك " ونُسي خطّ القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على رسم الأندلس"[54].

وقد أدّى ذلك التفاعل الثقافي والتبادل العلمي إلى زيادة النشاط العلمي والأدبي، فتضلَّع علماء وفقهاء المنطقة وبرز العديد منهم في مختلف العلوم، فأينعت التيارات الفكرية التي ظلت تتسرب إلى بلاد المغرب، وتطورت طرق التدريس؛ جامعة بين الطريقة المشرقية والأندلسية، وكثرت التآليف وظهر تيار الاجتهاد، ووردت مؤلفات جديدة، وأصبحت من أمَّهات الكتب والتي تمَّ استخدامها في البرامج التعليمية كمختصر ابن الحاجب في الأصول والفروع ومختصر خليل بن إسحاق المالكي وغيرها.

5- دور الهجرة الهلالية في تعريب بلاد المغرب

في عهد بني حماد كان زحف بني هلال على افريقية سنة(442هـ/1050م) وعلى المغرب الأوسط(460هـ/1067م) وكان لهذا الزحف أثر كبير على المجال الاقتصادي والاجتماعي وكانت له سلبيات عديدة ، ذلك أن تلك القبائل كانت طبائعها ميالة إلى العنجهية والفوضى والتخريب حتى أن بعض المؤرخين أطلقوا على هذه الهجرات الهلالية مصطلح" الكارثة الهلالية"[55]، ورغم التأثير السلبي لها إلا أنها أثرت إيجابيا خاصة على المستوى الثقافي فقد أدت الهجرة إلى ترسيخ اللغة العربية في بلاد المغرب البربرية وطوعت اللسان البربري لينطق ويكتب بلغة القرآن خاصة عند سكان الأرياف،وسارت عملية الاستعراب بسير عملية المزج والاندماج الاجتماعي لقبائل العرب في المجتمع المغاربي، وبذلك عمت اللغة العربية أو كادت القطر الجزائري خلال هذا العهد .

6- مظاهر الحياة الأدبية في الجزائر الحفصية

إن تلك العوامل أدت إلى ظهور نهظة علمية وفكرية شملت مختلف المجالات الثقافية، فارتقت بذلك الفنون الأدبية بالقطر الجزائري، وبلغت مدى نضجها واستحقت أن تفرَد بالدراسة والتحليل.

1-الأدب النثري

لم يكن النثر في هذا العصر لونا واحدا بل تعددت ألوانه واختلفت؛ فمنه نثر الفقهاء وهو نثر علمي يعمد إلى المعاني ولا يهتم بالأساليب البيانية، وهناك نثر كتّاب التراجم والمؤرخين؛ وهو نثر وسط بين الأدبي والعلمي، فيه بعض عبارات التأنّق ولكنه يخلو من مميزات النثر الفني كالخيال وضروب الاستعارة، ويظهر ذلك من خلال كتاب عنوان الدراية للغبريني، والفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني.

أما **النثر الفني** فقد كان يمثله ببجاية الكاتب المترسل أبي عميرة الذي أقام بها مدة ثم نقله الحفصيون إلى تونس ليتولى كتابة الإنشاء السلطاني بها، وكتابته خفيفة رقيقة الأسلوب شأن كتّاب الأندلس عموما رغم

التزامها للسجع. ويمثل هذا اللون أيضا أبو الخطاب ابن دحية الكلبي الذي كان يحشو كتاباته بالغريب تعاظما منه ومباهاة بمعرفة غريب اللغة وشاذّها، وبالتالي فإن نثر المغاربة كان متأثرا بل ومقلّدا لنثر الأندلس والمشرق[56].

كما يتجلى هذا النثر أيضا في **الرسائل الديوانية** التي كان يكتبها كتاب الدولة الحفصية البارعين وأشهرهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي الذي كان عالما بالكتابتين الأدبية والشرعية،وعليه كان المعتمد في المخاطبات السلطانية إنشاء وجوابا، وعليه كان اعتماد القضاة في التسجيلات، وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط[57]. وقد برز أدباء قسنطينة على مسرح البلاط الحفصي أيما بروز، فكان معظم كتاب الدولة منهم؛ وأشهرهم:

*- أبو علي حسن أبو الفضل القسنطيني (ت 756 هـ /1355م) اشتُهر بالكتابة وحُسن الخط ووجازة اللفظ، وهو من كبار كُتّاب الدولة الحفصية في أيّام الأمير أحمد بن محمد الحفصي(750هـ – 751هـ /1349م – 1350م) قال عنه ابن قنفذ " كان له خطّ حسن، وافق على حسنه كل من وقف عليه كالأمير أبي عنان (749هـ .759هـ / 1348.1357م) وغيره"[58].

*- عبد الرحمان بن محمد الغازي القسنطيني(توفي في القرن 8هـ/ 14م): كان فقيهاً له دراية تامة بالأنساب والتاريخ، من كُتّاب الدولة الحفصية على عهد أبي البقاء خالد، الذي بويع في 709 هـ/1309م[59].

*- أبو إسحاق بن إبراهيم بن وحّاد الكومي القسنطيني (عاش في القرن 8هـ /14م): شدَّ الرحال إلى الحاضرة التونسية فانخرط في مجالسها حتى صار شاعرا مفوّها، وأديبا بليغا يعد من فحول الشعراء، مدح سلاطين الدولة الحفصية في بلاطاتهم أمداحاً عذبة، وهو من بيوتات قسنطينة العدول، له كتابة مع حسن خطّ وإجازة لفظ، وكان من كتَّاب الدولة الحفصية المشهورين[60]، وهو أول من كتب للسلطان أبي العباس أحمد[61](772هـ-796هـ/1370م-1393م).

*- أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن الحجر(ت810هـ/1407م): وهو كاتب علامة السلطان أبي العباس أحمد(772هـ-796هـ/1370م-1393م) واشتهر بحسن الخط ووجازة اللفظ، وبقي في كتابته للخليفة حتى وفاة هذا الأخير، ثم كتب من بعده للسلطان أبي فارس عزوز[62] (796هـ-837هـ/1393م-1433م)-ابن أبي العباس السابق-، واستمرّ أبو عبد الله محمد في خدمة سلاطين بني حفص حتى توفّي في السنة المذكورة[63].

ومن خصائص هذا النوع من النثر؛ التكلف والاعتماد على السجع وضروب البديع، والتضحية بالمعنى في سبيل قصد الألفاظ الجميلة، وكل ذلك يضفي على الرسالة جمالا أخّاذا بسبب التفنّن في انتقاء الألفاظ، وتصيّد ضروب الخيال وإدخال التفكير الفلسفي.

كما ظهر هذا النوع من النثر في **الرسائل الاخوانية**، ونلمس ذلك خاصة في العلاقات الأخوية والاجتماعية والعلمية بين العلماء والأدباء أو بين الشيوخ وتلامذتهم، ونورد هنا على سبيل المثال لا الحصر مراسلات قاضي بجاية أبو عبد الله محمد المسفر(ت744هـ/1343م) لشيخه يوسف بن يعقوب الملاري القسنطيني(ت764هـ/1362م)،والتي ذكرها ابن قنفذ في كتابه أنس الفقير وعز الحقير، أنبأت عن مستوى رفيع في الأدب، ووجدانيات عالية في التصوف والروحانيات، وتبيّن قيمة ومكانة الشيخ يوسف الملاّري عند تلاميذه وبين علماء عصره ونذكر من تلك الرسائل:

"بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

زارت وقد فعل النوى أفعاله صبًّا رأى في وصلها آماله

يا أهل بابل قد شغلتم بالـه بكم كما أشغلتم بنباله

فخذوا لكم منكم بكم حتى يرى منكم سواء هجره ووصاله[64]

الوحشية، لا أوحش الله منكم ، الالتفات ولو بالسر إلى السوى، والفرقة التفريق من الوصل والهوى، فالأول اعتراض عنه، والثاني طلب الحظ منه، والعبودية إخلاص التسليم، والإتيان بقلب سليم وأسأل الله لي وإياكم الوفاء بالعهود، وبلوغ المقصود بمنّه، وليعلم سيدي أبي يعقوب أن كتابه وصل وكنت على شوق له : فجدّد عندي ما لم يدرس، وأكّد عنّي ما لم يلتبس، وتبرّكت به وتآنست بوروده، وطلب منه موصله الجواب، وكان غرضي أن أطيل الكتاب لأنه عندي مناجاة معكم وملاقاة بكم، ولكن أعجل الظمآن قبل تمام ريِّهِ، والأمل مرافقتكم والتبرك بكم..."[65].

إن هذه الرسائل تعطي لنا قيما أدبية واجتماعية نادرة، وتوضح لنا العلاقة التي كانت تربط علماء العصر وتبين لنا أيضا مكانة الشيخ عند تلاميذه وقد تميزت تلك الرسائل في مجملها بـ:

– الاستشهاد بأبيات من الشعر في مطلع الرسائل كما في الرسالة الأولى .

– المبالغة في المدح وإضفاء صفاتٍ للممدوح تسمو به إلى مقام عليٍّ، تبرُّكا به وتوسّلا وتزلّفا إليه.

– طغيان عبارات التصوف المنتقاة من المعجم الصوفي على السياق العام للرسائل ومن ذلك" سيدي وسادتي الفقراء– بركتكم وبركة أشياخكم–لطائف روحانية– دوام المعية– الضمآن–باطن – ظاهر..." فهي رسائل من مريد إلى شيخه، تطْفَح بفيوضات الحبّ، وتنضح بلواعج الشوق الجامح إلى الوصْل والتلاقي.

– إن ملامح الخطاب في الرسالة لا تختلف عمّا عهده العرب من سيمات في هذا اللون من الأدب –أدب الرسائل – فالأسلوب يذكّرنا بأسلوب عبد الحميد الكاتب[66] (ت 132هـ/749م) الرفيع والعتيق، فالجمل القصيرة المسجوعة مسكوكة من معدن هذا اللون العريق، ولعلّ التردُّد العالي للجُمل القصار مردُّه إلى اللهفة المتسارعة للكاتب المتشوّق لرؤية سيّده وشيخه.

– طغيان الأسلوب الإنشائي من نداء إلى أمر يناسب هذا الغرض من الرسائل المتوسّلة إلى درجة الاعتقاد في بركة المرسل إليه، فهو مصدر الخير كله والغوث كله، وأسلوب الأمر هنا أمر توسُّل لا أمر تسلُّط أو ردعٍ أو زجر متعالٍ.

– استعمال ضمير جمع المخاطبين للمفرد المخاطب كقوله "سادتي الفقراء،منكم ، أسأل الله لي وإيّاكم، ولا تنسوني،..." وذلك لإعلاء قيمة الشيخ يوسف الذي يخاطبه ورفْعا لشأنه.

2– الشعر

اتسعت موضوعات الشعر في هذا العصر وترقّبت أساليبها، ومن الموضوعات العادية المعروفة :الوصف والرثاء والهجاء والغزل والمدح وغيرها ، ولكن ظهرت في الشهر موضوعات جديدة نذكر منها: بكاء الشباب والتشاؤم من إدباره، و ظهور القصة الشعرية، وشعر الفروسية، وشعر التصوف الفلسفي، وشعر المولديات ومدائح النبي –صلى الله عليه وسلم–، ونزعة الزهد والتشاؤم.

وتبدوا في ضروب الشعر نزعتان:

النزعة الأولى :وجدانية وأرستقراطية ويمثلها شعراء البلاط السلطاني:

فكما هو معلوم أن هناك مؤرخون رسميون يؤرّخون للملوك ودولهم وسياساتهم، كان أيضا هناك شعراء رسميون في بلاطات الأمراء والملوك، وقد اشتهر في هذا الضرب الشاعر ابن دحية الكلبي(ت633هـ/1235م) الذي كان نحويا لغويا شاعرا بارعا، وشعره جزل الأسلوب عادي المعاني، وقد روى الغبريني له قصيدتين في مدح بني أيوب بمصر بعد مغادرته بجاية قال في مطلع إحديها:

مالي أسائل برق بارق عنكم من بعد ما بعدت دياري منكم

وبمنحنى الاضلاع بل وادي الغضا من مهجتي يا راحلين نزلتم

ومطلع الأخرى:

شجتني شواج في الغصون سواجع ففاضت هوام للجفون هوامع

وهيجن شوقا للأراجع باللوى وأين اللوى مني وأين الأراجع [67]

أما عن شعراء البلاط الحفصي فأشهرهم الشاعر القسنطيني[68]أحمد الخلّوف(ت899هـ/1493م)، الذي مدح سلاطين بني حفص في العديد من أشعاره، كما اشتهر أيضا بالمديح النبوي والشعر الديني، وله في ذلك ديوان كامل، وكان الخلّوف يجمع بين النثر والشعر حتى لقِّب بذي الصناعتين [69]، وقد كان الخلوف ملازما للسلطان الحفصي أبي عمرو عثمان(839هـ–893هـ/1435م–1488م) ومدحه في العديد من قصائده مشيدا فيها بآثاره وأعماله الجليلة ومنها – من البحر البسيط–:

في كفّه قلم فصل الخطاب غدا مبرّأ من خنى غيّ وفحشاء

يلقى على الطّرس أشياء مغيبة كأنّه قد تلقّاها بإيحاء[70]

ونوع هذا المدح مدحٌ في الخصال الفكرية، حيث مدح الخليفة بالعلم ووفرة العقل ورجاحة الفكر، وفي أبيات أخرى للخلّوف، مدح الشاعر السلطان بالانتصارات العسكرية التي تحققت في عهده، حتى صوّر السلطان في أكمل صورة من الشجاعة والقوة والإقدام، وهو يحاكي في ذلك المتنبّي (ت354هـ /965 م) في مدحه لسيف الدولة (335هـ -357 هـ/ 945م-967م)في قوله-من البسيط-:

مجرّد سيف رأى من عزيمته تكاد أن تختشيه أنفس النطف

ويقول الشاعر القسنطيني الخلّوف في أخرى-من الطويل-

تُؤمّل نعماه ويخشى انتقامه لطالب سلم أو لطالب فتنة

أمين بني الفاروق في حفظ سرّهم وعدّة نجواهم لدى كل شدّة

...يصول ويحمي شرعة نبوية بسمر رشاق أو ببيض جلية

...وإن هزّ يوم الحرب عامل رمْحه أراك قضيبا مثمرا بالمنية[71]

ولأحمد الخلوف ديوان ضخم في جزأين، خصّص الجزء الأول لمدائحه السلطانية، ومنها الأبيات التي ذكرناها ، والجزء الثاني لمدائحه النبوية.

ونذكر أيضا من شعراء البلاط الحفصي غير الخلوف:

*- ابن أبي تميم البجائي (ت684هـ/1285م): وهو من فحول شعراء الدولة الحفصية وهو من شعراء البلاط المقربين وقد تولى كغيره الكتابة وديوان الانشاء، ولد ببجاية وبها تعلم، ثم رحل إلى تونس واستقر به، اشتهر بالقصائد المطولة "الغر المستطابة" كما وصفها ابن رشيد السبتي، ومنها قصيدة عنوانها"رقم العذار في التهنئة بالختمة والأعذار " في 75 بيتا. وهي في ضرب المدح، كما عرف بقصائده الهجائية اللاذعة.[72]

*- شعيب البجائي(ت بعد 867هـ/1462م) أصله من بجاية، ويبدوا أنه كان من الوجوه التي تزينت بها تونس في الشعر والمؤانسة، خرج مع ثلة من الأدباء إلى بعض منتزهات تونس وتذاكروا في العلوم والأداب[73]،وهو من شعراء البلاط الحفصي غير أننا لم نعثر على نماذج من شعره.

*- أبو القاسم القالي(النصف الول من القرن السابع) ونسبته إلى مدينة القالة الساحلية بالشرق الجزائري وهو أديب وشاعر نعته ابن سعيد بالرئيس الكاتب وروى له ستة أبيات من الهزج في الفرح بانقضاء شهر رمضان، وكان من شعراء البلاط الحفصي وتولى الكتابة بديوان الإنشاء[74] .

النزعة الثانية:نزعة شعبية تعكس أفكار الشعب وآلامه.

لقد تنوعت ضروب الشعر الذي يحمل هذه النزعة لكن غالبيته كان بين الشعر الصوفي وشعر المديح الديني والشعر الاجتماعي، وقد طغت طائفة شعراء التصوف والمدائح وتوسعت منذ القرن السابع الهجري،وتركت لنا قصائد كثيرة، وقد تأثرت تلك الطائفة بمنهج أبي الفضل ابن النحوي(ت513هـ/1119م)

صاحب المنفرجة،كما تأثرت بالصوفي العابد الزاهد الفقيه أبي الحسن علي بن احمد الحرالي(ت 683هـ/1284م) الذي تخلى عن الدنيا ورحل إلى المشرق فتفقه وتصوف، وشعره فيه نزعة التشاؤم، وقد ترك طلبة كثيرين ببجاية ساروا على هذا النهج الصوفي[75].ومن تلك الطائفة نذكر الشاعر الأديب أبو جعفر بن أبي أمية الشهير بـ "ابن مقلة زمانه" وله شعر كثير في الحكمة والتصوف ومنه هذه الأبيات:

أأمسك دمعا وقد أرسلت علي من الهجر ريح عقيم
غفت مقلة الوصل إغفاءه كنومة أهل الرقيثم
فإن كان نهج الرضى مائلا فإن صراط المستقيم مستقيم
ولي مقلة نظرت في النجوم قضت لي ان فؤادي سقيم[76]

ومنهم أيضا الشاعر أبو عبد الله محمد بن الحسن القلعي (ت673هـ/1274م) الأستاذ اللغوي النحوي من قلعة بني حماد، اشتهر بشعر الزهد ومدح الرسول ومن شعره في ذلك:

أمن أجل أن بانوا فؤادك مغرم وقلبك خفاق ود معك يسجم
وما ذاك إلا ان جسمك منجد وقلبك مع من سار في الركب متهم

ثم يقول:

فيا طول شوقي للنبي وصحبه ويا شد ما يلقى الفؤاد ويكتم
توهمت من طول الحساب وهوله وكثرة ذنبي كيف لا أتوهم
وقد أثقلت ظهري ذنوب عظيمة ولكن عفو الله أعلى وأعظم
وأختم نظمي بالصلاة مرددا على خير خلق الله ثم أسلم[77]

كما لمع الشاعر أبو الحسن بن أبي القاسم بن الحسين بن باديس القسنطيني(ت787هـ/1385م) في الشعر الصوفي بسينيته المشهورة في التصوف والتي نظمها أواخر ذي الحجة عام 756هـ/1356م، وعدّد أبياتها نحو ست وتسعين بيتا، وقد تهافت العلماء بعده على شرحها؛ وكانت القصيدة السينية في الثناء على شيخ الطريقة القادرية المذكور، و الذي اعتبره الشيخ ابن باديس قطب الصوفية ومصدر النور وطريق الهداية وذلك في قوله(الطويل):

الأصل إلى بغداد فهي منى النفس وحِّدث بها عمن ثوى بطن الرمس
وبالجيلي[78]فابدأ فذاك قطبهم ومنهم استمدوا في الإضاءة والقبس
من أبدالها أقطابها علمائها أولي الكشف والعرفان والبسط والأنس
ومن قد أتاها نازح الدار منهم وضاء له نور الوَلاية كالشمس[79]

وأقرّ ابن باديس في سينيته بضرورة اللجوء إلى الصوفية في فري الأزمات، وهو ما ذهب إليه أبي الفضل النحوي(ت 513هـ/1119م) في قصيدته المشهورة "المنفرجة"، فهي أيضا من شعر التوسلات الذي

يُذهِب الحزن ويكشف الكُرَب[80]، وتبيّن السينية انتشار هذا الضرب من الشعر في الجزائر الحفصية وارتباط العامة به، وذلك في قوله:

فكم كربة أجلى الإله بجاههم وكم رقبة أعلى وأولى من الأوس[81]

ثم يحذّر الخائضين فيهم وفي كراماتهم ويتوعّدهم إن هم لم يقْلعوا عن ذلك في قوله:

فكن صادقا في حبِّهم ومصدِّقا بأحْوالهم واحذر مخالجة الشَّمس[82]

ومنهم أيضا القسنطيني المذكور آنفا أحمد الخلوف الذي برع في قصيد المدائح الدينية وله قصائد تحمل عناوين مسجّعة وهي قرابة أربعة وعشرين عنوانا منها:

- قطر الغمام في مدح خير الآنام، وعدد أبياتها423بيتا.
- استرواح القبول بمدح طه الرسول وعدد أبياتها 337 بيتا[83].
- استشفاء الكئيب بمناجاة الحبيب، وعدد أبياتها179 بيتا.
- تطفل ذي العدم على موائد ذي الكرم، وعدد أبياتها 67 بيتا[84].

وله أيضا بديعية ميمية سمّاها"**مواهب البديع في علم البديع**" مطلعها:

أمن هوى ثوى باللسان والقلم هلت براعة مرنى الدمع كالضمّ[85]

كما أظهر الشيخ محمد بن محمد بن أبي القاسم أبو العباس أحمد الغربي بركات القسنطيني (عاش في القرن9هـ/15م) رقّة شعرية فائقة، وكان مخالفا لأحمد الخلّوف –المعاصر – في نوع كتاباته الشعرية، فإذا كان شعر الخلّوف لصيقا بمدح الملوك والأمراء، فإن بركات كرّس شعره في المديح النبوي فكان في مؤلّفاته – خاصة مؤلّفَيْه في المواعظ والإرشاد اللذين ذكرناهما– يفتتح مجالسهما–أي فصولهما– بأبيات من الشعر في مدح الرسول–صلى الله عليه وسلم– ، ومثال ذلك قوله في بداية مجلسه الأول مخاطبا الرسول الكريم – من البحر الطويل– :

دعوتك مضطرّا وأنت سميع وجئتك محتاجا فكيف أضيع

وبدأ المجلس الثاني بقوله– من البحر الخفيف–:

طال والله بالذنوب اشتغالي وتماديت في قبيح فعالي[86]

وبدأ مجلسه الثالث بأبيات منها–من البحر الطويل– :

أسير الخطايا عند بابك واقف له عن طريق الحق قلب مخالف[87]

وتشير كل تلك الأبيات إلى اعتراف الشاعر بذنوبه الكثيرة ومناجاته الله تعالى في أن يغفرها له ، مستشفعا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– طالبا الرحمة والغفران

كما اشتهر الشاعر أحمد بن يونس القسنطيني(ت878هـ/1474م) أيضا بالشعر الصوفي والمولديات وأثرت فيه رحلته إلى بلاد المشرق، حيث درس بمكة فنون الكتابة والقراءة وعلوم الحساب والمنطق حتى

اشتُهر به، تتلمذ عليه كثير من طُلاّبها، انتقل بعدها للمدينة المنورة وجاور قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم– وله شعر عظيم في مدحه (صلى الله عليه وسلم) منه من البحر البسيط قصيدة مطلعها:

يا أعظم الخلق عند الله منزلة ومن عليه الثنا في سائر الكتب[88]

أما عن الإنتاج الأدبي خلال العهد الحفصي في مجال اللغة والأدب[89] فكان غزيرا ومن أهم المؤلفات ما ساهم به ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م)الذي ألّف الكتب التالية :"الإبراهيمية في مبادئ اللغة العربية"و"هداية السالك في بيان ألفية بن مالك"[90]و"بسط الرّموز الخفية في شرح عروض الخزرجية"[91] و"التخليص في شرح التلخيص"[92].كما ألف أبو عبد الله محمد القلعي(ت683هـ/1284م) كتابا في النحو سماه"الموضح في علم النحو" وله" حدق العيون في تنقيح القانون" وله " نشر الخفي في مشكلات أبي علي" وهو شرح لكتاب الايضاح في النحو[93]. وما هذا إلا غيض من فيض، فمعظم من ترجمنا لهم ومن وجدوا في كتب التراجم إلا ولهم باع في التأليف في مجال الأدب والشعر وغيرها من المجالات الأخرى.

وفي ختام هذا العرض يتبين لنا أن الجزائر الحفصية عاشت بحق عهدا ذهبيا تميز بحركية النشاط العلمي والثقافي والفكري، وأنتج أدبا ناضجا كان من أعمدته العديد من الأدباء والشعراء والذين تجاوزت شهرتهم حدود بلاد المغرب الأوسط إلى المغرب والأندلس والمشرق، وقد أنتجوا لنا تراثا أدبيا وإنتاجا غزيرا دلت عليه مؤلفاتهم وكتاباتهم التي –وللأسف– مازالت متناثرة بين ثنايا كتب التاريخ والتراجم والرحلات، وتنتظر من ينتشلها من ركام تلك المصادر ويجمعها في كتابات أدبية منفردة حتى نستطيع من خلالها الرقي بأدبنا وإحياء معالم الحياة الأدبية في تاريخنا المضيء والحافل بالتراث الثقافي والعلمي على مر العهود والأزمان.

هوامش الموضوع

(1)– ابن خلدون: المقدمة ،طبعة دار الفكر ، بيروت،ط1، 2004، ص452–453–457.

(2)– ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس،1968، ص23–24.

(3)– ابن الشماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد حيا سنة تأليف الكتاب 861هـ/1457م): الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، ص 54.

(4)– عبد الحميد حاجيات " عنابة في عهد الحفصيين "، **مجلة الأصالة**،(تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية)، مطبعة البعث ، قسنطينة، 1976، العدد 35/34،ص75.

(5)– ابن قنفذ: الفارسية، ص108.

(6)- المصدر نفسه، ص108.

(7)-عبد الحميد حاجيات: " عنابة في عهد الحفصيين "، ص77.

(8)- المرجع نفسه، ص79.

(9)- بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية، ، جمعية التراث ، القرارة الجزائر 1993 ص: 308- 363.

(10)- المرجع نفسه، 364.

(11)- رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى ، الجزائر، ط3، 2000، ص104-106.

(12)- سليمان داود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب الاسلامي،مطبعة أبو داود، الجزائر، 1993، ص87.

(13)- البلج بفتح الفاء واللام : وضوح الصبح والأبلج الذي قد وضح ما بين حاجبيه فلم يقترنا. ينظر ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ت711هـ/1311م):لسان العرب،دار صادر ،بيروت،ط1997،1، ج1/ ص339.

(14)- أبو السرج: كناية عن الشمس.

(15)- الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله ت714هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض،دار الافاق الجديدة ، بيروت،ط2، 1979، ص 272.

(16)- المراد بالتخميس : هو أن يعمد الشاعر إلى أبيات غيره فيقدم على البيت ثلاثة أشطر على روي الشطر الأول، فتصير خمسة أشطر، ولذلك سمي تخميسا، مثال ذلك: قال أبو بهاء الدين الموصلي في تخميس البردة :

بسم الاله مفيض الجود والكرم بدئي بمدحي وتخميسي بمختتَمي

الحمد لله ذي الآلاء والنعم الحمد لله منشي الخلق من عدم

ثم الصلاة على المختار في القدم

الأشطر التي تحتها خط هي الشطور المضافة إلى الأصل. ينظر عدنان حقي: المفضل في العروض والقافية وفنون الشعر، مكتبة الإيمان دار الرشيد، بيروت لبنان،ط1987،1،ص132.

(17)- الغبريني: المصدر السابق، ص .274

(18)- المصدر نفسه، ص273.

(19) رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته،دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ط3، 2000، ،ص191.

(20)- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحالي،مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،1983، ص253.

(21)- العبدري(محمد البلنسي حيا سنة688هـ/1289م): الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب، الجزائر، ص 30.

(22)- العبدري: المصدر السابق، ص280-281.

(23)- ابن قنفذ: الفارسية، ص104 .

(24)- الغبريني: المصدر السابق، ص280-281.

(25)- الأرْيحي : الذي يعطي راحة عند ركوبه.

(26)- النّدى : ويقصد بذلك الكرم.النَّديِّ: ويقصد به النادي أو المجلس.

(27)- ابن خلدون: المقدمة، ص420.

(28)- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(29)- القلقشندي: كتاب صبح الأعشى، دار الكتب المصرية،مصر،1962،ج5/ص115.

(30)- الرصاع(أبو عبد الله محمد الأنصاري)، فهرست الرصاع، المكتبة العتيقة، تونس، ص53-54.

(31)- المصدر نفسه، ص ز.

(32)- ابن قنفذ: الفارسية، ص112-114.

(33)- هو الشيخ الخطيب الحافظ اللغوي أبو بكر لقي مشايخ عدة منهم والده الفقيه أبو العباس والشيخ أبو العباس أحمد بن عيسى وغيرهما، أقرأ بإشبيلية وكان راوية حافظا للحديث يقوم قياما حسنا على البخاري، وكان يكتب جيدي وينظم حسنا، توفي في ثالث عشر جمادي الأخير من سنة 657هـ/1258م. ينظر أحمد بابا التمبكتي(ت963هـ/1036م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،ط1، 1989،ص381.كما ينظر ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ،ط1973،4،ص326.

(34)- هو أبو الحسن علي بن مومن بن محمد بن علي الحضرمي للاشبيلي، المعروف بابن عصفور، حامل لواء العربية بالأندلس، ختم على الشيخ أبي علي الشلوبين كتاب سيبويه، وأقرأ بإشبيلية ومالقة ومرسية، ولد سنة597هـ/1200م، وتوفي سنة669هـ/1270م، من كتبه "الممتع" و"المفتاح" وغيرها. ينظر ابن قنفذ: الوفيات، ص331.

(35)- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، المعروف بابن الأبّار، مؤرخ كبير، وأديب وناقد، كان أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي، من أهل بلنسية وأصله من أندة، ولد سنة595هـ/1198م، ونشأ في بيت علم ودين وعفاف، ولي قضاء دانية سنة 633هـ/1235م، وبعد استيلاء الروم على بلنسية 636هـ/1238م سافر إلى بجاية ثم إلى تونس، فكان مقرّبا من سلاطين الدولة الحفصية على عهد أبي زكريا ثم ابنه المستنصر المذكور، وقد عمل في بلاط هذا الأخير إلى أن ساءت العلاقة بينهما

بعمل الوشاة، فأمر المستنصر باعتقاله وسجنه، ثم ضربه بالسياط حتى قتله سنة 658هـ/1259م، و أُحْرقت جميع مؤلفاته وكانت نحو خمس وأربعين كتابا منها: "التكملة لكتاب الصلة" و"تراجم علماء الأندلس" و"الحلّة السيِّراء"و"تحفة القادم" وغيرها. ينظر ابن قنفذ: الوفيات، ص324-325.

(36)- ابن قنفذ: الفارسية، ص123.

(37)- المصدر نفسه، ص148.

(38)- المصدر نفسه ، ص178 .كما ينظر الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم حيا سنة 894هـ/1488م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضود ، المكتبة العتيقة تونس، 1966، ص107.

(39)- ابن قنفذ: الفارسية، ص179.

(40) ابن خلدون: المقدمة، ص 618.

(41)- حديث شريف رواه مسلم. ينظر أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي:رياض الصالحين ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،، ط1، 1424هـ/2003،ص252.

(42)- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط،طبعة دار البعث، قسنطينة، 2007 ، ص 99.

(43)- الغبريني: المصدر السابق، ص180 وما بعدها.

(44)- ابن الذيب عيسى وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث،2007، ص132-133.

(45)- الغبريني : المصدر السابق ، ص41.

(46)- المصدر نفسه، ص292-294.

(47)- المصدر نفسه، ص295.

(48)- نفسه،ص119-121.

(49)- ابن قنفذ: الفارسية، ص122.

(50)- الغبريني :المصدر السابق،ص310-311.

(51)- المصدر نفسه، ص310-312.

(52)- ابن قنفذ: الفارسية ، ص166.

(53) روبار برونشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي،بيروت ،1988، ج2 /ص 420 .

(54)- عبد الرحمان ابن خلدون:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، طبعة بيروت،1966،، م6/ ص751 . وينظر سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ج1/ ص 292.

(55)- علاوة اعمارة:"الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الوسيط"مجلة الآداب والعلوم الانسانية،العدد الرابع، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة، 2004، ص46.

(56)- رابح بونار: المرجع السابق، ص319-320.

(57)- الغبريني: المصدر السابق، ص282

(58)- ابن قنفذ: الفارسية، ص179.كما ينظر عبد العزيز فيلالي: قسنطينة، ص 148.

(59)- ابن قنفذ: الفارسية، ص156.

(60)- المصدر نفسه، ص 178. كما ينظر عبد العزيز فيلالي: قسنطينة، ص148.

(61)- ابن قنفذ: المصدر السابق، ص179. كما ينظر الزركشي: المصدر السابق، ص107.

(62)- الزركشي: المصدر السابق ، ص115.

(63)- المصدر نفسه، ص123.

(64)- الأبيات من البحر الكامل.

(65)- ابن قنفذ:أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وأدولف، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص54.

(66)- هو الأستاذ الأول للكتابة الفنية عند العرب، عبد الحميد بن يحي بن سعد العامري نشأ في الأنبار واحترف التعليم في الكوفة، واتصل بخلفاء بني أمية وعظمت منزلته عند الخليفة مروان بن محمد، قتل في أثناء الصراع العباسي الأموي عام سقوط دولة الأمويين في 132هـ/749م ، وهو أستاذ البلاغة العربية ورائد كتّاب الرسائل عامة، طوّر الرسائل بكثرة التحميدات في صدر الرسالة، وبالتوسع في المعاني والعناية بترتيبها ووضوحها. ينظر حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، دار الجيل ، بيروت ، ط15، 2001، ج2/ص281.

(67)- الغبريني: المصدر السابق، ص223-225.كما ينظر رابح بونار: المرجع السابق،ص325.

(68)- نسبة أحمد الخلوف إلى قسنطينة عن طريق المولد حيث وِلد بها سنة 829هـ/1425م، ولكنه رحل منذ صغره مع أبيه إلى مكة ثم إلى بيت المقدس، وبعد وفاة والده رحل الخلوف إلى تونس سنة859هـ/1454م واستقربها. ينظر أحمد الطويلي: الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القيروان تونس، 1996، المجلد الثاني، ص280.

(69)- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1/ص79.

(70)- أحمد الطويلي: المرجع السابق، المجلد الثالث،ص369.

(71)- المرجع نفسه، ، ص371.

(72)- المرجع نفسه، المجلد الأول، ص127.

(73)- المرجع نفسه،المجلد الثاني، ص265.

(74)- أحمد الطويلي: المرجع السابق،المجلد الأول، ص69.

(75)- الغبريني:المصدر السابق،ص151-155.رابح بونار:المرجع السابق، ص325.

(76)- الغبريني: المصدر السابق، ص616-617.

(77)- المصدر نفسه، ص69-71.

(78)- يقصد بالجيلي: الشيخ عبد القادر الجيلاني(ت560هـ/1165م).

(79)- الأبيات مضطربة الوزن وهكذا وُجدت في المخطوط.

(80)- رابح بونار: المرجع السابق، ص 271.

(81)- ابن باديس: مخطوط اللمحات الأنسية في شرح النفحات القدسية، مخطوط ضمن مجموعة الخزانة العامة، الرباط، تحت رقمD2189.، ورقة 279.

(82)- ابن الحاج التلمساني:(أبو العباس أحمد ابن الحاج اللبيدي ت 930هـ/1523م): أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس، تحقيق الميسوم فضة ،دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2006، ص14.

(83)- محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،دار الفكر، بيروت ،(د ت)، ص273. كما ينظر سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،ج1/ص82-83.

(84)- أحمد الطويلي: المرجع السابق، المجلد الثاني ، ص281.

(85)- المرجع نفسه، المجلد الثالث،ص371.

(86)- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1/ ص109.

(87)- المرجع نفسه، ص110.

(88)- الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرحالة ، المكتبة العتيقة، تونس، 1985،ج2/ ص ص 106-107. كما ينظر عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، طبعة دار البعث، قسنطينة، 2007، ص ص 136-137.

(89)- اللغة: تعني اللسن، وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ولغوت أي تكلمت،واللغو: النطق، واللغة هي الألفاظ الموضوعة للمعاني.أما الأدب فهو الإجادة في فني النظم والنثر أو ما يعبر عن معنى الحياة، بأسلوب لطيف جميل سواء كان ذلك شعرا أم نثرا. ينظر محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين،دار الكتاب الجامعي، العين الامارات،ط 2000،1/2001،، ص175.وعند ابن خلدون باختصار دقيق: اللغة هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده. ينظر المقدمة، ص624.

(90)- وابـن مالـك هـو أبـو عبـد الله محمـد بـن مالـك الطـائي الأندلسـي النحـوي عـاش بـين(600 هـ-672هـ/1203 م-1273م) ولد بجيَّان وتوفي بدمشق، وألفيته مشهورة ولها العديد من الشروح وهي مطبوعة. والكتاب في حكم المعدوم ينظر ابن قنفذ : الفارسية، ص 80-83.

(91)- وهو أيضا مفقود.ابن قنفذ: شرف الطالب، ص 54. أما الخزرجية في العروض فهي لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي المالكي الأندلسي وهي من البحر الطويل مطلعها:

وللشعر ميزان تسمّى عروضه بها النقص والرجحان يدريهما الفتى

وشروح هذه القصيدة عديدة منها المطبوع والمخطوط . ينظر ابن قنفذ: الفارسية، ص79-80.

(92)- للكتاب ذكر في مخطوطات الرباط والمكتبة الوطنية بتونس. ينظر ابن قنفذ: شرف الطالب، ص45. وقد ذكر الأستاذ سعد الله أن الكتاب مختصر لكتابه"خط النقاب" في الحساب أي تلخيص أعمال الحساب لابن البنا. سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،ج1/ص114.

(93)- الغبريني: المصدر السابق،ص70.